

The phenomenon of poverty in the Mamluk era through the book of Ahmed bin Ali Al-Dalji Al-Falaqa and Al-Falakun 770-838 AH / 1369-1435 AD

Dr. Mohsen Younes*

Dr. Ahmed Al Hamid Al Anzi**

Maran Taleb***

(Received 25 / 7 / 2022. Accepted 21 / 11 / 2022)

□ ABSTRACT □

This study aims to monitor a historian of the Mamluk era for the details of the aspects of social activity and its categories and the interaction among them, and the reflection of this interaction on the reality of political, economic and intellectual life in the Mamluk era by studying the scientific material that Ahmed bin Ali for Delji mentioned in his book Al-Falaqa and Al-Maflokoun, in which its owner Al-Dalji deals with the phenomenon of It is clear in the Egyptian society that it affected the reality of social life and was a reflection of the economic life of this group, indicating the factors, manifestations and results related to the phenomenon of poverty, to which multiple political, military, economic and natural factors contributed, which prompted some of the owners of this category to take various methods and ways to obtain money and secure a life It is a luxury, and a comparison of what he mentioned in his book with the rest of the sources of his time in their monitoring of the reality of living life. The research will depend on collecting scientific material from Arabic sources, references, and articles related to poverty, then working on formulating information extracted from sources and references according to the scientific historical analysis method, whether analyzing the opinions of historians who wrote books on this subject or analyzing historical events in approved sources that serve search.

Keywords: poverty - floods - rain - sheep - cows – fire.

* Professor - Department of History - College of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.

** Doctor - Department of History - Second College of Arts and Humanities - University of Damascus - Syria.

*** Postgraduate Student (PhD) - Arabs and Islam - History Department - College of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.

ظاهرة الفقر في العصر المملوكي من خلال كتاب أحمد بن علي الدلجي الفلاكة والمفلوكون (770-838هـ)/(1369-1435م)

د. محسن يونس*

د. أحمد الحميد العنزي**

مران طالب***

(تاريخ الإيداع 25 / 7 / 2022. قبل للنشر في 21 / 11 / 2022)

□ ملخص □

تهدف هذه الدراسة إلى رصد أحد مؤرخي العصر المملوكي لتفاصيل أوجه النشاط الاجتماعي وفئاته والتفاعل فيما بينها، وانعكاس هذا التفاعل على واقع الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في العصر المملوكي عبر دراسة المادة العلمية التي أوردها أحمد بن علي لدلجي في كتابه الفلاكة والمفلوكون الذي يعالج فيه صاحبه الدلجي ظاهرة واضحة في المجتمع المصري أثرت في واقع الحياة الاجتماعية وكانت منعكساً للحياة الاقتصادية لهذه الفئة مبيناً العوامل والمظاهر والنتائج التي تخص ظاهرة الفقر، والتي أسهمت فيها عوامل متعددة سياسية وعسكرية واقتصادية وطبيعية مما حدا ببعض من أصحاب هذه الفئة لاتخاذ أساليب وطرق متنوعة للحصول على المال وتأمين حياة يعيش فيها مرفهاً، ومقارنة ما أورده في كتابه مع بقية مصادر عصره في رصدها لواقع الحياة المعيشية. سيعتمد البحث على جمع المادة العلمية من المصادر، والمراجع، والمقالات العربية، المتعلقة بالفقر، ثم العمل على صياغة المعلومات المستخلصة من المصادر والمراجع وفق منهج التحليل التاريخي العلمي سواء تحليل آراء المؤرخين الذين ألفوا كتب في هذا الموضوع أو تحليل الأحداث التاريخية في المصادر المعتمدة التي تخدم البحث.

الكلمات المفتاحية: فقر - فيضانات - أمطار - أغنام - أبقار - حريق.

* أستاذ - قسم التاريخ-كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة تشرين - اللاذقية- سورية.

** دكتور - قسم التاريخ-كلية الآداب والعلوم الإنسانية الثانية-جامعة دمشق - سورية.

*** طالب دراسات عليا (دكتوراه) - عرب وإسلام - قسم التاريخ-كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة تشرين-اللاذقية- سورية.

مقدمة:

عاش الدلجي في عصري الدولة المملوكية الأولى والثانية ورصد لنا واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية وارتباطهما بالحياة السياسية والفكرية، وهو بحق يستحق الدراسة لما قدمه من رصد تفصيلي لواقع الحياة المعاشية في دولة المماليك، وسيتم دراسة هذا الموضوع من حيث عصر المؤلف وحياته ووصف الكتاب وأهميته لما جاء فيه من مادة علمية تاريخية ذات طابع اجتماعي وسياسي واقتصادي وهو بحق يعد من المصنفات التي أخذت مكانها في الفكر الاجتماعي والاقتصادي، ودراسة ظاهرة الفقر ومقارنة ما كتبه الدلجي مع ما كتبه مؤرخي عصره.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال ما نقله لنا الدلجي في كتاب الفلاكة والمفلوكون حيث يعطينا فكرة واضحة عن واقع الحياة في الوقت الذي نجد مصنفات قليلة عن هذا الموضوع (الفقر)، فأنت أهمية هذه الدراسة من حيث التعريف بالدلجي وكتابه، وتباين عوامل الفقر ومظاهره، ورأي الدلجي في هذه الظاهرة وانعكاسها على واقع العلماء في العصر المملوكي.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد أحد مؤرخي العصر المملوكي لتفاصيل أوجه النشاط الاجتماعي وفنائه والتفاعل فيما بينها، وانعكاس هذا التفاعل على واقع الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في العصر المملوكي، وكذلك يهدف إلى دراسة مقارنة للمادة العلمية التي أوردها الدلجي مع بقية مصادر عصره في رصدها لواقع الحياة المعيشية.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي القائم على تحليل المعلومات ووصف الظواهر والمشكلات خلال فترة زمنية معينة للوصول إلى استنتاجات علمية دقيقة .

أولاً: دراسة عصر المؤلف وحياته: عاش الدلجي في عصر المماليك الجراكسة واتسم هذا العصر بالتدهور السياسي الداخلي نتيجة الحملات الخارجية من جهة والصراعات الداخلية من جهة أخرى، فقد كثرت حوادث الشغب والفوضى بفعل المماليك الجلبان¹ وضعف السلاطين والأمراء وعدم قدرتهم على ضبط أحوال العامة أدى إلى كثرة الاضطرابات في البلاد ولم يجد هؤلاء المماليك من يضع لهم حداً ويوقفهم عن سرقة البضائع ونهب الأسواق والتعدي على الناس في الشوارع لدرجة أن هذه الحوادث أصبحت بمثابة النعمة الدالة في حياة المجتمع آنذاك، وكانت النتيجة الطبيعية لمثل تلك الحوادث دائماً أن يسري الفزع في النفوس وتضطرب البلاد وسكانها بالفوضى والخوف وتتوقف بالتالي حركة البيع و الشراء وتغلق الأسواق²، وأدى الصراع بين السلاطين والأمراء إلى شلل الحياة الاقتصادية الذي انعكس سلباً على الحياة الاجتماعية، وذكر المقرئ في الصراع بين السلطان الأشرف شعبان 764-778هـ/1363-

¹ - الجلبان: هم المماليك الذين جلبوا حديثاً، انظر، دهمان(محمد احمد)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1990م، ص 53.

² - قاسم(عبد قاسم)، عصر السلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994م، ص 75 .

1386م، والأمير يلبغا³ الذي لجأ إلى تولية سلطان آخر سنة 768هـ/1368م هو الأمير أنوك⁴، فأصبح هناك سلطان على كل ضفة من النيل فيما بين جزيرة الروضة والقاهرة ولكل سلطان جنوده وأمرائه وبقي القتال مستمراً بينهما عدة أيام والأسواق في القاهرة مغلقة ولا يوجد فيها أي مظهر من مظاهر النشاط الاقتصادي أو الاجتماعي سوى تفرج الناس على القتال بين الجنود المماليك البلبغاوية والسلطانية⁵، ومما يؤكد تعطل النشاط الاجتماعي ما حدث في سنة 802هـ/1399م، حيث الناس في الجوامع يستعدون لأداء صلاة الجمعة أشيع أن المماليك خرجوا بالسلاح لمقاتلة بعضهم البعض، فعم الخوف وتوقفت كل مظاهر الحياة بالقاهرة وضواحيها لدرجة أن أغلقت أبواب بعض المساجد في حين اقتصرت الخطبة في البعض الآخر وألغيت تماماً مع الصلاة في عدد كبير منها ويبدو أن هذه الجوامع التي ألغيت بها الصلاة والخطبة كانت قريبة جداً من مركز تجمع القوات المملوكية، وخرج الناس من مصلاتهم مسرعين إلى بيوتهم ومحلاتهم يملكون الخوف مذعورين من أن تنهب أملاكهم جرياً للعادة التي تحصل عند كل فتنة واضطراب وأغلقت الأسواق والحوانيت وارتفعت الأسعار واشتد الغلاء وانعدم الخبز في الأسواق⁶، ويتضح هنا أثر النزاعات على الحكم بين المماليك أنفسهم وما ينعكس من آثار على المجتمع فلا بد على كل سلطان من إرضاء أنصاره بالأموال لكي يبقى حكمه قائماً فيعمل على فرض ضرائب جديدة على الرعية أو إعادة ضرائب قديمة كانت قد ألغيت كما فعل يلبغا الناصري من إعادة الضرائب التي ألغاهها السلطان برقوق مما أدى إلى فقر العامة وكراهية حكمه وعبروا عن هذه الكراهية بقولهم: راح برقوق وغزلاته وجاء الناصري وثيرانه، فقد ضم عسكره بعض الغرياء والذعران الذين نهبوا الاضطراب السلطاني وبيوت الأمراء ومحاصيلهم ونهبوا العامة وأخذوا النساء من الحمامات والطرقات ودون أن يجراً أحد على ردهم وهذا ما جعل القاهرة تعاني من أشد أنواع الفوضى والاضطراب⁷، وأضف إلى ذلك التصدي للحملات العسكرية المغولية على بلاد الشام أثر في الضعف الاقتصادي والاجتماعي فقد عملت الدولة المملوكية على إجبار الفقهاء بالضغط عليهم لإصدار فتوى تبرر جواز أخذ الضرائب من الشعب وبهذا العمل تأخذ الضرائب بصفة شرعية وهذا بدوره أثر على ارتفاع الأسعار وعلى الحياة المعيشية للفرد فكثر الغرامات التي كانت تدفع من الباعة وبالتالي يضطر البائع إلى رفع ثمن بضاعته ليعوض الخسائر التي تكبدها فترتفع الأسعار ويحدث الغلاء، مثل ما قام به السلطان فرج ابن برقوق 801-815هـ/1398-1412م، عندما عمل على تجهيز جيش لمقاتلة تيمورلنك حيث فرض

³ - يلبغا الخاصكي: قتله مماليكه يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر وكان ملكاً هماماً عالي الهمة كثير الاحسان لأهل العلم خصوصاً وإلى الناس عموماً وله صدقات وير ولكنه تنكر في الآخر وساء خلقه وأساء من حوله فكان سبباً لهلاكه، انظر، ابن العراقي (أحمد عبد الرحيم بن الحسين ت 826هـ/1420م)، الذيل على العبر في خبر من غير، ج1، تح: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1989م، ص 216 .

⁴ - أنوك: بن حسين بن محمد بن قلاوون، الملك المنصور بن الملك الأمجد ابن السلطان الملك الناصر قلاوون، أخو الملك الأشرف شعبان ابن حسين، المعروف بسلطان الجزيرة، انظر، ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي ت 874هـ/1470م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج3، تر: جلال أحمد بن يوسف، سعيد بن علي بن رشيد، تح: نبيل محمد عبد العزيز، مركز تحقيق التراث، د.ط، 1988م، ص 107.

⁵ - المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص 300-301 .

⁶ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج6، ص 30-31 .

⁷ - ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، المؤسسة المصرية العامة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، د.ت، ص 323 .

ضرائب جديدة كثيرة على العامة لأنه كان بحاجة ماسة للمال وفرض ضرائب على سائر أراضي مصر و أوقافها وجبى أجرة شهر من سائر الأملاك واستدعى أمناء الحكم والتجار وطلب منهم قروضاً واستولى على محاصيل الأوقاف مما أدى إلى ارتفاع سعر الخبز وهلاك الكثير ووقوع الفقر بين الناس وعدم قدرتهم على الشراء⁸.

بعد أن استعرضنا واقع الحياة بشكل عام في العصر المملوكي لا بد لنا من أن نتعرف على هذه الشخصية وحياته. أحمد بن علي الدلجي المصري ثم الدمشقي الشافعي، أخذ العلم في مصر وبرع في النحو وغيرها من العلوم، كان فاضلاً ورعاً، حكم بإراقة دمه لزندقته⁹، ولكن لم يثبت عليه هذا الاتهام بالزندقة وإراقة الدماء، ويقول الدكتور رفعت العوضي: "يوجد فيما كتبه الدلجي بعض الآراء والأفكار التي يمكن أن تلقي ضوءاً لتفسير توجيه هذا الاتهام إليه، استشهد الدلجي على رأيه في الكرامات وخرق العادات على يد الولي،.....، والدلجي بهذا كان ضد طائفة مدعي التصوف ومدعي الولايات والكرامات،... يمكن القول بسبب هذا كله وشت به هذه الطائفة فناله الاتهام بالزندقة والكفر¹⁰، ونسبته إلى دلجة¹¹ من صعيد مصر ولكنه كان كثير السخرية من الناس¹²، سافر إلى طرابلس، ثم استقر بدمشق، ودرس بالمدرسة الأتابكية¹³، ثم تولى مشيخة الخانقاه¹⁴ الخاتونية¹⁵، مات في سنة 838هـ/1435م، ولم يتزوج¹⁶، وفرح الناس بموته لما أدى الصوفية في الخانقاه الخاتونية إلى حد أن عزل شخصاً من الصوفية وبالغ في أذاه إلى أن ضرب، وشاع عنه قلة تدينه وإهماله للصلاة وتفوهه بكلمات تدل على الزندقة، مما جعله عرضة للاتهام بالزندقة، ولما بلغ نائب دمشق سوء تصرفاته وسيرته أرسل في طلبه، فعمل على بيع الخانقاه للقاضي ابن عجلون مقابل مبلغ من المال¹⁷ وسافر إلى مصر وتوفي هناك¹⁸.

- 8 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص 247-248.
- 9 - الزندقة: القول بأولية العالم، وأطلق على الزردشتية، والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتوسع فيه فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد، انظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 403.
- 10 - العوضي (رفعت)، تحليل اقتصادي لكتاب الفلاكة والمفلوكون للدلجي 770هـ/838هـ نموذج من الفكر الإسلامي لقضية الفقراء ومشكلة الفقر، الدراسات الإسلامية، م2، ع5، 1985م، ص 41.
- 11 - دلجة: قرية بصعيد مصر من غربي النيل في الجبل بعيدة عن الشاطئ، الحموي (بهاء الدين عبد الله ياقوت ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 460.
- 12 - الزركلي (خير الدين)، الاعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ص 177.
- 13 - السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902هـ/1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، دار الجبل، بيروت، د.ط، د.ت، ص 27، مطلق (فضيلة عباس)، أخلاق المهنة في كتاب الفلاكة والمفلوكون للدلجي دراسة تحليلية مقارنة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع54، 2001م، ص 154.
- 14 - الخانقاه: كلمة فارسية وتعني محلاً للتعبد والزهد والبعد عن الناس، وبمعنى بيت أيضاً، دخلت هذه الكلمة العربية منذ انتشر التصوف فهي كالدير في النصرانية، انظر، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 66.
- 15 - النعيمي (عبد القادر بن محمد ت 978هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، أعده: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص 114.
- 16 - السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، ص 27.
- 17 - لم تورد المصادر التاريخية التي ترجمت لحياة الدلجي تفاصيل حول هذا الخبر، علماً أنني عدت إلى كتاب الضوء اللامع للسخاوي وهو من الكتب المختصة بتاريخ القرن التاسع وعدت إلى القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، والدارس في أخبار المدارس، انظر، ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت 953هـ/1547م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، ق1، تح: محمد أحمد دهمان، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، د.ط، 1949م، ص 118، السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، ص 27، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص 114.

عاصر الدلجي كل من المؤرخين ابن خلدون صاحب كتاب مقدمة ابن خلدون الذي تناول فيها جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمارة والاجتماع والسياسة والطب وتناول أيضاً أحوال البشر واختلاف طبائعهم والبيئة وأثرها على الإنسان، وعاصر أيضاً المقرئ صاحب كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة وتحدث فيه عن المجاعات في مصر والأزمات الاقتصادية والاجتماعية وأسهب في الحديث عن ذلك ليصور لنا واقع الحياة الاجتماعية وما لا قته معظم فئات الشعب المصري من المحن والمآسي، وفي تلك الفترة ألف الدلجي كتابه الذي أسماه الفلاكة والمفلوكون، وله أيضاً كتاب شرح تسهيل الفوائد لابن مالك الجزء الثاني منه، والجمع بين التوسط للأدري والخدام للزركشي، مع زوائد في مجلدين¹⁹، والسؤال الذي يتبادر إلينا هو : هل كان الدلجي من هؤلاء الفقراء كونه لم يشتهر مثل المقرئ أو ابن خلدون اللذين عاصراه؟.

يذكر الدكتور رفعت العوضى "إن حياة الدلجي من حيث اليسر أو الفاقة ومن حيث علو الشأن أو الضعف هذه الحياة غير معروفة، إذ لم يكتب عنه إلا نفر قليل، ولكن تحليل كتابه من حيث آراؤه وفكره عن الناس والحياة ونظريته إلى الناس والحياة، وعلاقته بالناس وكذا بالحياة اليومية يبدو منها أنه لم يكن محسوباً من أنصار السلطة، فقد اتهم بالزندقة وأريق دمه، ولم يكن من أصحاب الوجوه في عصره، فهو يقول مخاطباً الفقراء: يا معشر إخواني المفاليك، ويختم كتابه بالدعاء لهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي²⁰. ومما تقدم أن ما طرح من آراء حول اتهام الدلجي بالزندقة يدل على أن المجتمع في عصره كان يأخذ بظاهر الأمور وقد شاعت هذه التهمة في ذاك العصر وانتشرت وعانى منها بعض العلماء، ولو أن الدلجي كان زنديقاً لما ولي مشيخة الخانقاه أو غيرها.

ثانياً: وصف الكتاب ومحتوياته: ذكر الدلجي في تحقيق معنى المفلوك أن هذه اللفظة أخذها من العجم ويقصدون بها الرجل الذي ليس له حظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره، ويرى الدلجي أن ما ذكر في قاموس المحيط من معنى²¹، فلك تقليداً أي لج في الأمر²²، يمكن استعماله بالمعنى المراد من الفلاكة وبيان هذا الاستعمال أن اللجاج لازم الإملاق فإنه يلزم من الإملاق وعدم الحظ اللجاج فيكون من باب اطلاق اللازم واردة الملزوم، وهو مع ما فيه من التكلف مردود بأن فعل تفعيل لا يصح أن يكون اسم المفعول منه بزنة مفعول وهنا يرى الدلجي أنه مأخوذ من الفلك الذي هو جسم يحيط بالعالم فكان الفلك يعارض غير المحظوظ في مراده ويدفعه عنه²³، وذكر في المعجم الوسيط معنى الفلاكة: الفقر، والمفلوك الفقير وجمعه مفاليك²⁴، وحول تسمية الكتاب بالفلاكة هو لفظ الفلاكة على الفاقة والإملاق والفقر وهو أن هذه الألفاظ ونحوها نص صريح في مدلولها بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك فإنه يتولد منهما بمعونة القرائن معان لاتقة بالمقامات على كثرتها وتفاوتها²⁵، وقسم كتابه إلى عدة فصول، الأول في تحقيق معنى

18 - ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، ق1، ص 118، النعيمي، الدراس في تاريخ المدارس، ج1، ص 114.

19 - الزركلي، الأعلام، ج1، ص 177.

20 - العوضى، تحليل اقتصادي لكتاب الفلاكة والمفلوكون للدلجي 770هـ/838هـ نموذج من الفكر الإسلامي لقضية الفقراء ومشكلة الفقر، ص 40.

21 - الدلجي (أحمد بن علي ت 838هـ/1435م)، الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الشعب، مصر، د.ط، 132هـ، ص 3.

22 - الفيروز آبادي (مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب ت 817هـ/1415)، القاموس المحيط، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص 951.

23 - الدلجي، الفلاكة والمفلوكون، ص 3.

24 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص 701.

25 - الدلجي، الفلاكة والمفلوكون، ص 4.

المفلوك، والثاني في خلق الأعمال وما يتعلق به، والثالث في أن التوكل لا ينافي التعلق بالأسباب وأن الزهد لا ينافي كون المال في اليدين، والرابع في الآفات التي تنشأ عن الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتصيبها، والخامس في أن الفلاكة والاهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك، والفصل السادس في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات ليس إلا بعد كونها من جملة الصناعات وحرفة من الحرف، والفصل السابع في السبب في غلبة الفلاكة والاهمال والأمل على نوع الانسان وبيان ذلك، وفي الثامن في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية، وفي التاسع في أن التملق والخضوع وبسط أعدار الناس والمبالغة في الاعتذار اليهم واطهار حبههم ومناصحتهم من أحسن أحوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها إلى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك، والعاشر في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل، والحادي عشر في مباحث تتعلق في الفصل الذي قبله، والثاني عشر في أشعار المفلوكين ومن في معناهم وبيان أن الحامل عليها إنما هو فلاكة، والثالث عشر في وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة، وبعد أن تم تبيان معنى الفلاكة والمفلوكين لا بد لنا من التساؤل عن الأسباب التي دفعت الدلجي لتصنيف هذا الكتاب فهل كان واقعه المعاشي سبباً في ذلك، أم أن تزيف وتشدق وتطلب بعض العلماء العطايا من السلاطين سبباً، أم أن واقع الحال المعاشي في المجتمع في العصر المملوكي كان سبباً لهذا النشاط في تصنيف الكتاب، أم أن هذه الأسباب مجتمعة كانت سبباً في تأليف هذا الكتاب؟.

ثالثاً: أسباب تأليف الكتاب: ذكر الدلجي الدافع وراء كتابة هذا الكتاب الذي أسماه الفلاكة والمفلوكون أنه مخاطباً الفقراء فقال الدلجي: "منحتكم يا معشر أخواني المفاليك كتاباً بديع المثال، منسوجاً على غير منوال، مخترعاً من غير سابقة مثال، مسلاةً وتمثلاً وحكماً وإعلاءً، تتخذونه مفاكهة وأمثالاً، وتصرفون به في ظنونكم رداً وإعلاءً، وتترعون به أيديكم من ريقه انتزاعاً، وترفعون به نحو الأغراض والمقاصد شراعاً، وكان المحرك لهذه الكتابة أن سائلاً سأل عن السبب في عليّة الفلاكة والاهمال على نوع الانسان، فصادف مني نشاطاً للكلام في ذلك نفثةً مصدور، وضربةً موتور، وناراً ساكنة ألقمها حطباً، ودعوة وافقت ارادة ومطلباً"²⁶.

رابعاً: منهجية الكتاب وأهميته: إن المطالع أو الدارس لكتاب الدلجي الفلاكة والمفلوكون يقف مذهولاً أمام ما قدمه هذا العالم في عرض واضح وسلس حيث وظف مادته التي عاصرها وشاهدها وعابنها ونقدها في ثلاثة عشر فصلاً قدمها بخطة مقنضة بين فيها أسباب تأليف الكتاب منتقلاً بعد ذلك إلى صلب الكتاب المكون من فصول عدة، عارضاً ذلك بلغة عربية فصيحة وألفاظ جذلة سهلة توافق العصر الذي عاش فيه وإن كان السجع غالب عليها لكن القارئ والدارس يفهم ما يقرأ بوضوح تام وقد شاع استخدام السجع في معظم مصنفات هذا العصر مثلما فعل معاصره ابن عريشاه عندما صنف كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور، ومثلما فعل الكثير من مؤرخي هذا العصر عندما دبجوا عناوين كتبهم بهذا الأسلوب، مثلما فعل أيضاً المؤرخ المقيزي المعاصر للدلجي في تصنيفه الذي ألفه وأسماه إغاثة الأمة بكشف الغمة والذي عالج فيه قضايا اجتماعية واقتصادية، عانت منها الدولة المملوكية نتيجة الفساد الإداري، واستخدم الدلجي في كتابه الفلاكة والمفلوكون منهج الاستقراء والقياس من خلال الواقع المتعين وتأمله ودراسته بعناية، وتأتي أهمية الكتاب من خلال دراسته للحالة الاجتماعية المتمثلة بالفلاكة (الفقر)، والمفلوكين (الفقراء)، فقدم الدلجي لنا معلومات عن الحياة الاجتماعية وصور لنا واقع الفقراء في العصر المملوكي.

خامساً: دراسة ظاهرة الفقر:

قبل البدء بالحديث عن أسباب ومظاهر ونتائج الفقر، لابد لنا من تعريف الفقر لغةً واصطلاحاً. الفقر في اللغة: النَّفَرُ و النَّفَرُ ، ضد الغنى مثل الضَّعْفِ و الضَّعْفُ²⁷، والفقر فعيل بمعنى فاعل، والمؤنث فقيرة والجمع فقراء²⁸، والفقر: العوز والحاجة، والشق والحز والهم²⁹، وفعله الافتقار والنعت فقير ويكون الفقر مرادفاً لكلمة الحاجة والفقراء تساوي أهل الحاجة³⁰.

ولم يختلف المعنى لغة عن المعنى اصطلاحاً فقد اشتركا في المعنى والصفة، حيث عرفت المصادر والقواميس الحديثة الفقر اصطلاحاً: هو كل شخص يعاني من الحرمان المادي أي لا يمتلك شيئاً وكذلك أي شخص ابتلى بمصيبة تمنعه في الكسب على نفسه يدعى فقيراً، وكل شخص كبير في السن لا عمل له ولا صنعة يسمى فقيراً³¹، وأيضاً من فقد المورد أو الدخل الذي يضمن له أدنى مستويات الحياة المعيشية³²، والفقر من الناس من لا يملك إلا أقل القوت³³.

أسباب الفقر كثيرة ذكرها الدلجي تأتي في مقدمتها أن الفقر متغلب على بني البشر والسبب في ذلك لأنهم يعملون بأجر قليل بقوت يومهم، وأن الغنى صفة إما مكتسبة وإما موروثة، وأما المكتسبة فمجالاتها كثيرة إما إمارة وإما فلاحا وصناعة وتجارة، وللتجارة معوقات تؤدي إلى ارتفاع أسعار المواد التموينية وذكر الدلجي أهم المعوقات السلطان وأمراء لما لهم من سلطة على التجار³⁴، ويوافق ابن خلدون في ذلك ويذكر أيضاً الضرائب التي تجبى من التجار فقال "أن الدولة إذا ضاقت جبايتها من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها، واحتاجت إلى المزيد من المال، فتارة تضع المكوس على بیاعات الرعايا وأسواقهم، وتارة بمقاسمة العمال والجباة، وتارة باستحداث التجارة والفلاحا للسلطان"³⁵، ويمكن ذكر بعض الأمثلة التي لم يذكرها الدلجي عن سطوة السلاطين والأمراء واستغلالهم لمناصبهم في التدخل في الأسواق وعمليات البيع والشراء وانعكاس ذلك على الحالة الاجتماعية للعامة ما فعله السلاطين والأمراء من مصادرات وطرح ورمي، فالطرح لغة: الرمي بالشيء، والطرح الشيء المطروح لا حاجة لأحد فيه، أما الطرح اصطلاحاً: فهو سياسة تسويقية إجبارية، يحدده صاحب البضاعة (وهو في الأغلب صاحب نفوذ سياسي السعر الذي يريد لبضاعته، ويلزم المشتري بدفع الثمن بطرق تكون ثقيلة)³⁶، وتقوم ظاهرة طرح البضائع والتي تختلف وتتنوع تنوعاً كبيراً ما بين الأبقار والماشية والأقمشة، وتقوم هذه الظاهرة على أن تطرح الدولة البضائع المتوفرة

27 - ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبة ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، مج 5، ج 46، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1981م، ص 3444.

28 - الفيومي (أحمد بن محمد بن علي ت 770هـ/1369م)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1987م، ص 182.

29 - مجموعة مختصين، الموسوعة العربية العالمية، ج17، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط2، 1999م، ص 389، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 697.

30 - ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج46، ص 3444.

31 - ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج46، ص 3444.

32 - مجموعة مختصين، الموسوعة العربية العالمية، ج17، ص 389.

33 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 697.

34 - الدلجي، الفلاحة والمفلوكون، ص 54.

35 - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق، د.ط، 2004م، ص 471.

36 - صالحية (محمد عيسى)، ظاهرة طرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، مجلة أبحاث اليرموك، مج9، العدد4، 1993م، ص 53.

لديها على التجار، وتفرضه بالسعر الذي تريده وبالكمية التي تراها مناسبة، بغض النظر عن حاجة الأسواق لها، أو عدم حاجتها، ولم يكن التاجر يملك حق الرفض أو القبول أو المساومة على السعر المعروض، وكانت مصادر هذه البضائع إما عبارة عن هدايا واردة للأمراء والسلاطين، وإما بضاعة محتكرة من قبل الدولة نفسها، أو حتى منهوبة أو مصادرة³⁷، ومن المواد الأساسية التي كانت تطرح الغلال بأنواعها من قمح وشعير وفول وحبوب أخرى والسكر والزيت والصابون واللحوم، وقد طرحت أصناف الأقمشة وثياب الصوف، والعسل والزبيب والقطن والجوخ والشاشات³⁸ والأخشاب والحديد³⁹.

ومن السلع التي شملها الطرح أيضاً الفلفل والزيت، ففي سنة 839هـ/1435م، طرح السلطان على التجار في دمشق والقاهرة ألف حمل من الفلفل بقيمة مئة دينار، أي بمعدل مئة دينار ثمن الحمل الواحد، الأمر الذي عرض التجار إلى خسارة كبيرة⁴⁰، وتقنن بعض الأمراء في طرح نواذر الأصناف بطريقة لا تخلو من جور وظلم، فأيدكن الأركشي⁴¹ والي القاهرة، وقد كبس في ذي الحجة 734هـ/آب 1333م، مكاناً تجتمع فيه الناس للهو والسمر، فسلب ممن أمسكه منهم ثيابه ثم طرحها في اليوم الثاني على أصحابها⁴²، ومن الأمثلة على الطرح القسري، ما قام به النشو⁴³ من طرح الأبقار الهرمة العجاف على التجار وأهل السوق حتى لم يبق أحد من أرباب الدكاكين الا وطرح عليه البقرة أو الدابة بخمسة أضعاف أثمانها ولم يجراً أحد على التذمر أو الشكوى لعلمه بأن السلطان يدعم النشو في ذلك⁴⁴، وكانت المصادرات والنهب من الوسائل الهامة في توفير الأصناف التي تطرح في الأسواق، وشملت المصادرات الأمراء والقضاة والأعيان، وعامة الشعب، فقد كثرت المصادرات في دمشق والقاهرة ومصر فصولد التجار ونهبت الماعز وطرحت على الناس بأضعاف أثمانها⁴⁵، وفي سنة 667هـ/1267م، أمر السلطان ببيرس بمصادرة جميع أراضي حلب، ويشير بذلك

37 - قاسم(عبده قاسم)، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1978م، ص 34 .

38 - الشاشات: نوع من القلائس، نسبت إلى مدينة الشاش في بلاد ما وراء النهر، أو هي قطعة من القماش الموصلي، وهي مثل الخروط الناقص يخرج من وسطها العلوي مثل النتوء كأنه زر الطربوش، انظر، العبيدي(صلاح حسين)، الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، د.ت، ص 102.

39 - ابن اياس(محمد بن أحمد الحنفي ت930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1984م، ص 242.

40 - الصيرفي(علي بن داود ت 900هـ/1494م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج3، تح: حسن حبشي، دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، د.ط، 1973م، ص 346.

41 - أيدكن الأركشي: كان من البريدية ثم ولي ولاية القاهرة توفي في قريب 740هـ/1339م، انظر، ابن حجر(أبي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ت852هـ/1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1993م، ص 428 .

42 -اليوسفي(موسى بن محمد بن يحيى ت 759هـ/1358م)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986م، ص 211 .

43 - النشو: عبد الله بن فضل الله الكاتب شرف الدين النشو، كان هو وأبوه يخدمون عند الأمير بكنمر، ثم خدم النشو عند الأمير أيدغمش أمير آخور، انظر، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج9، ص 323، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص 429 .

44 - المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص 212، صالحية، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، ص 55 .

45 - صالحية، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، ص 59 .

اليونيني بقوله: " وفي هذه السنة تقدم الملك الظاهر بالحوطة على أملاك حلب بأسرها وأن لا يفرج عن شيء منها إلا بكتاب عتيق من الأيام الناصرية أو ما قبلها"⁴⁶.

ويلاحظ ان المصادرات التي أمر بها بحق العامة في حلب، طالت أموال الناس وحرمتهم من التصرف بريعتها فتسبب ذلك بفقرهم، ولاشك أن الفقر يعطل قدرة الناس على الشراء من التجار.

وصادر السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد الناس للتجهيز لحجه حيث أمر بمصادرة جميع أرباب المعاملات، وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة، وألا يصرف لأحد منهم شيئاً، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف ألف ألف درهم، لكي يشتري الجمال ونحوها، ومما يحتاج إليه السلطان في سفره⁴⁷، وفي سنة 1326/727م، أمر السلطان بمصادرة أهالي الاسكندرية فأصاب كثير منهم الفقر⁴⁸.

وارتفع سعر الخبز في دمشق سنة 1337/775م، ولم يقم نائب السلطنة بعمل شيء بل كان منشغلاً في مصادرة أموال الناس⁴⁹. وفي سنة 1413/816م، هاجم الأمير فخر الدين أبو الفرج بعساكره قرى الصعيد ليلاً ونهب ما فيها من غلال وحيوان وسلب النساء حليهن وكسوتهن، فجمع الكثير من الذهب والسلاح والغلال، فلما قدم القاهرة شرع في رمي الأصناف المذكورة على الناس من أهل المدينة وسكان الريف بأعلى الأثمان⁵⁰.

ويتناول الدلجي حرفة الفلاحة قائلاً فعوراضها السماوية أكثر من أن تعد من البرد والهواء وكثرة هطول الأمطار وانحباسه وغيرها من غضب الطبيعة⁵¹، ويمكن ذكر أمثلة لم يذكرها الدلجي عن الكوارث الطبيعية وأثرها على العامة ودورها في افقارهم، منها هطول الأمطار الغزيرة يلحق الضرر الكبير بالحياة الاقتصادية والمعيشية ففي سنة 1300/700م، هطلت أمطار غزيرة في غزة مدة واحد وأربعين يوماً متوالياً، عدمت بسببه الأقوات، واشتد الغلاء⁵²، وهطلت أمطار غزيرة سنة 1316/716م، في كل من حمص وعلبك وحلب وسمرين⁵³، أدت إلى خراب الكثير من المزروعات⁵⁴، وفي حين لم تكن الأمطار الغزيرة تؤدي إلى أضرار زراعية فقد كانت تؤدي إلى تعطيل الحياة اليومية

⁴⁶ - اليونيني(قطب الدين موسى بن محمد ت 1326/726م)، ذيل مرآة الزمان، مج2، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1955م، ص 410.

⁴⁷ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 20.

⁴⁸ - الشربيني(البيومي اسماعيل)، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص 336.

⁴⁹ - ابن طولون(شمس الدين محمد بن علي بن احمد الصالحي ت953/1547م)، إلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد احمد دهمان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1984م، ص 51.

⁵⁰ - ابن حجر(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت852/1449م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص 15، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج6، ص 358، صالحية(محمد)، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، مجلة أبحاث اليرموك، مج9، العدد4، ص 53.

⁵¹ - الدلجي، الفلاحة والمفلوكون، ص 54.

⁵² - النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت733/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج31، تح: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 258، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 336.

⁵³ - سمرين: بليدة مشهورة من أعمال حلب، أهلها إسماعيلية، انظر، البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت739/1339م)، مرصد الاطلاع على أخبار الأمكنة و البقاع، ج2، تح: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992م، ص 710.

⁵⁴ - النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج32، ص 178.

ففي سنة 731هـ/1329م، هطلت أمطار في دمشق أدت إلى ملأ الطرقات بالوحل والطين⁵⁵، فضلاً عن تعطل السفر في بعض الأوقات كما حدث في دمشق سنة 738هـ/1337م، فقد استمر هطول المطر ستة أيام، أخرج بيوتاً كثيرة، وقلع أشجار كثيرة و انقطعت الطرقات والدواب تعوم في الوحل، ولا تكاد تمشي حتى تقع⁵⁶، وفي سنة 800هـ/1398م، هطلت أمطار غزيرة في غزة والرملة أدت إلى انهدام أكثر من ألف بيت⁵⁷، وفي سنة 802هـ/1399م، فاض نهر بردى واستمر مدة ثلاثة أيام ولم تذكر المصادر الأضرار الناتجة عنه⁵⁸، وفي مصر فاض نهر النيل سنة 773هـ/1376م، وتقطعت الطرقات، وتأخرت الزراعة بالقاهرة⁵⁹، وفاض نهر النيل على منطقة الحسينية سنة 778هـ/1376م، وأغرق عدة حارات ودور وقدر عدد الدور التي أغرقت بنحو 1000 دار أو أكثر، ومات كثير من الخلق وضاعت أموال العديد من الناس⁶⁰، وفي سنة 783هـ/1381م، فاض النيل على القاهرة وأغرق عدة بساتين⁶¹، وفي سنة 825هـ/1422م، هطلت أمطار غزيرة أدت إلى فيضان نهر النيل وأفسدت المياه أكثر المزروعات الصيفية كالسمسم والبطيخ، وتقطعت الجسور⁶²، وفي سنة 827هـ/1424م، كان من كثرة هطول الأمطار تهدم العديد من الدور فضلاً عن هلاك المزروعات في القاهرة والوجه البحري⁶³، وأمطرت مطراً غزيراً في البهنسا⁶⁴ سنة 832هـ/1428م، وقضى المطر على الكثير من الأغنام والأبقار⁶⁵، كما تعرضت بلاد الشام ومصر لتشكّل سيول كثيرة كان لها آثار سلبية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، منها السيل الذي حصل سنة 775هـ/1374م، في حلب واقتصرت أضراره على المادية، فقد أدى إلى خراب دور كثيرة قدرت بنحو 400/ دار ما بين دار وحانوت وطاحون وبستان⁶⁶، وهدم السيل الذي حدث في غزة والرملة سنة 800هـ/1398م، أكثر من ألف بيت⁶⁷، وفي سنة 810هـ/1408م، حدث سيل عظيم في مدينة طرابلس، فأحدث بها أضراراً فادحة بالممتلكات وهدم عدة دور، وأدى إلى موت عدد كبير من الناس⁶⁸، وأما

- 55 - ابن الجزري (شمس الدين بن عبد الله محمد بن ابراهيم ت 738هـ/1337م)، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، ج2، تج: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998م، ص 464-466 .
- 56 - ابن الجزري، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، ج3، ص 1023-1024 .
- 57 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج1، ص 474 .
- 58 - ابن الحجّي (ابن العباس احمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي ت 816هـ/1414م)، تاريخ ابن حجي، ج1، علق: ابو يحيى عبد الله الكندي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 390 .
- 59 - ابن شاهين (زين الدين عبد الباسط بن خليل الظاهري الحنفي ت 920هـ/1514م)، نيل الأمل في ذيل الدول، ج2، تج: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002م، ص 31. المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 345.
- 60 - السخاوي (شمس الدين ابي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902هـ/1496م)، الذيل التام على دول الاسلام، ج1، تج: حسين اسماعيل مروة، دار العروبة، الكويت، ط1، 1992م، ص 288 .
- 61 - المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص 123، ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج2، ص 181 .
- 62 - المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 63-64.
- 63 - المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 92.
- 64 - البهنسا: قلعة حصينة عجيبه بقرب من مرعش وسميساط، انظر، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 516.
- 65 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج14، ص 323، المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 185.
- 66 - ابن العراقي، الذيل على العبر في خبر من غير، ق 2، ص 369، ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص 62، المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 368، ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج2، ص 68 .
- 67 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج1، ص 474 .
- 68 - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2، ص 384، ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج3، ص 160 .

في سنة 833هـ/1430م، حدث سيل عظيم في مدينة دمشق، هدم بيوت ودكاكين كثيرة، ومات تحت الهدم جماعة من الناس⁶⁹، وفي سنة 783هـ/1381م، هطلت الأمطار بغزارة على مدينة القاهرة، فحدث بها سيل عظيم، وبلغ ارتفاع المياه إلى حد أن الخيول خاضت فيه إلى بطونها، وقد أحدث هذا السيل أضراراً فادحة بالمزروعات⁷⁰، وهطلت أمطار غزيرة على مصر سنة 795هـ/1393م، فحدثت بها سيول، وألحقت أضراراً فادحة بالممتلكات⁷¹، وفي سنة 818هـ/1415م، هطلت الأمطار بغزارة على مصر، فحدثت السيول بها، وصبت معظم مياه هذه السيول في نهر النيل، ما أدى إلى تلوثه وتغير لونه⁷²، وتواصل هطول المطر بغزارة لمدة يومين متوالين في مصر سنة 826هـ/1423م، فحدثت بها السيول، ألحقت أضراراً كبيرة بالمقابر وتهدمت بيوت كثيرة⁷³، وفي سنة 832هـ/1428م، هطلت الأمطار بغزارة على مصر فحدثت السيول بها، وألحقت هذه السيول أضراراً فادحة بالممتلكات والمزروعات⁷⁴، ومن الكوارث الأخرى القحط والجفاف الذي اجتاحت بلاد الشام ومصر وكانت سبباً في زعزعة الأوضاع الاقتصادية، ففي سنة 694هـ/1295م، أدى الجفاف الذي حصل إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية كافة في المناطق التي حدث بها الجفاف في كل دمشق وحوران والقدس ونابلس، فبلغت غرارة⁷⁵ الشعير 145/ درهم، وأبيع الخبز رطل⁷⁶ ووقية بدرهم واللحم بأربعة دراهم⁷⁷، وذكر المقرئ في كتابه إغاثة الأمة هذا الجفاف فقال: "وتأخر المطر ببلاد القدس والساحل حتى فات أوان الزرع، وجفت الآبار، ونضبت عين سلوان بالقدس"⁷⁸، وفي سنة 704هـ/1304م، انحسرت الأمطار في بلاد الشام وذكر المقرئ في شدة هذا الجفاف، فقال: "فأجذبت الشام من الغور إلى العريش"⁷⁹، وجفت المياه، ونزح الناس

69 - ابن طولون (محمد بن علي بن أحمد بن علي ت 953هـ/1547م)، اللغات البرقية في النكت التاريخية، مكتبة القدسي، دمشق، د.ط، 1348هـ، ص 27 .

70 - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص 238، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص 127 .

71 - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص 452، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج1، ص 364، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص 339 .

72 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج6، ص 383 .

73 - ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج4، ص 131، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 77 .

74 - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج3، ص 418، ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج4، ص 245، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 185 .

75 - الغرارة: مكيال للحبوب في دمشق، يعادل 310/ كيلو غرام، إذا كان المكيل قمحاً، ويقابلها في مصر 10الأردب) الذي يزن حوالي سبعين كيلو غراماً، انظر، البصري(علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشافعي ت 905هـ/1498م)، تاريخ البصري صفحات مجهولة من تاريخ دمشق من عصر المماليك، تح: أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1988م، حاشية رقم 4، ص 34 .

76 - الرطل: وحدة قياس الأوزان، وتساوي بدمشق 1.84كغ، انظر، هنتس (فالتر)، المكايل والأوزان الإسلامية، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م، ص 33.

77 - الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1348م)، دول الإسلام، ج2، تح: حسين اسماعيل مروة، محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م، ص 222، ابن الجزري، حوادث الزمان وأبناؤه ووفيات الأكابر والأعيان من أبناؤه، ج1، ص 280-283، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج31، ص 182 .

78 - المقرئ(تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ/1442م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ط1، ص 2007م، ص 106.

79 - العريش: مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم، في وسط الرمل، خربت بأيدي الفرنج ولم يبق منها إلا الآثار، انظر، البغدادي، مرصد الاطلاع على أخبار الأمكنة والبقاع، ج2، ص 935.

عن أوطانهم للعطش⁸⁰ وإن بعض الضياع لم يوجد فيها ماء للشرب⁸¹، وخلال سنتي 797-798هـ/1394-1395م، ضربت بلاد الشام موجة جفاف، فقد انحسرت الأمطار في هذه السنتين، وحدث نقص حاد في مياه الشرب، وانخفض منسوب مياه مختلف أنهار بلاد الشام، كما جفت معظم الينابيع والآبار، وتلف الكثير من المزروعات والمواشي ورحل الناس عن ديارهم⁸²، وارتفع سعر القمح وانعدم الخبز في القدس⁸³، وفي سنة 807هـ/1404م، حدث جفاف في بلاد الشام وكان أشده ما حدث في حلب، وأدى إلى ارتفاع الأسعار⁸⁴، واجتاحت موجة جفاف بلاد الشام سنة 838هـ/1434م، وكانت أشد المناطق المتضررة من هذا الجفاف دمشق وصفد، وأضر الجفاف بالمزروعات، فالزرع المتقدم تلف والمتأخر لم يطلع، وحصل شح شديد وجفت آبار المياه في مدينة صفد واقتتل الناس على الآبار التي لم تجف بعد⁸⁵، وأما في مصر فقد أدت موجة الجفاف التي اجتاحتها سنة 796هـ/1394م، إلى ارتفاع الأسعار فبلغ إردب القمح أربعين درهماً والشعير والفلو عشرين درهماً⁸⁶، وأصاب القحط مصر سنة 820هـ/1417م، فقلت الغلال وارتفعت أسعار الحنطة والشعير والفلو قرب المائتين الإردب الواحد وتعذر وجودها⁸⁷، وأدى انحباس الأمطار إلى أن صاب القحط الوجه البحري سنة 822هـ/1419م، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، فبلغ سعر إردب القمح/350 درهماً، وإردب الشعير/250 درهماً، وإردب الفلو/210 دراهم، فأدى ذلك إلى حدوث مجاعة، لعدم قدرة الفقراء على الشراء في ظل ارتفاع الأسعار، فاضطروا آنذاك إلى أكل الكلاب والقطط من شدة الجوع⁸⁸، بالإضافة إلى الكوارث الذي ذكرت هناك الأوبئة والأمراض التي أدت إلى نفوق عدد كبير من الحيوانات الذي انعكس سلباً على الحياة المعيشية للعامة وبالتالي انقطع مصدر رزقهم الذين كانوا يعتمدون عليه، مثلما حدث في سنة 841هـ/1437م، عندما فشا الطاعون في مصر وبلاد الشام، فهلك عدد كبير من الحيوانات وخاصة الأغنام، وطافت الأسماك موتى في نهر النيل⁸⁹، ومات العديد من العجل والأبقار في بلاد الشام⁹⁰، وفي سنة 776هـ/1374م، مات من الأغنام والأبقار عدداً كبيراً بسبب الوباء الي حدث بمصر⁹¹، وفشا الموتان في الأغنام سنة 820هـ/1417م، ومات حوالي 20/ ألف رأس من الغنم⁹²، ويمكن ذكر ما كان للحروب والحرائق من أثر في تدهور الحياة الاقتصادية، وما يلحقه من حرق

80 - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 383.

81 - المنصوري (ركن الدين بيبيرس ت725هـ/1325م)، التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648-711هـ جرية، قد: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1987م، ص 176.

82 - ابن صصري (محمد بن محمد بن أحمد ت 801هـ/1379م)، الدرة الماضية في أخبار الدولة الظاهرية، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، سوريا، ط1، 2014م، ص 181.

83 - ابن حجي، تاريخ ابن حجي، ص 165.

84 - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2، ص 296-297.

85 - مجهول (مؤرخ شامي)، حوليات دمشق، تح: حسن حبشي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 129-130.

86 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج1، ص 391.

87 - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 436.

88 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، ج2، ص 453، المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج6، ص 510-511.

89 - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 358.

90 - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 349.

91 - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 374.

92 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، ص 402.

للأراضي الزراعية والدكاكين والأسواق وأثره على الحياة الاجتماعية، ففي سنة 757هـ/1356م، احترقت الأشجار في المنطقة الجبلية فيما بين طرابلس وبيروت واحترق في ذلك الحريق الكثير من شجر الزيتون وفر أهل تلك المناطق نحو الساحل خوفاً من النار ومات الكثير من الحيوانات البرية مثل النمر والدببة والثعالب والخنائير⁹³، وفي عام 794هـ/1392م، احترق سوق الصاغة وسوق الدهيشة حول الجامع الأموي بدمشق وتلف من الأموال ما لا يحصى⁹⁴، وفي دمشق أيضاً عام 800هـ/1398م، احترق عدد من الأسواق ومنها الحرييين والقواسيين و السيوفيين والصراف وبعض النحاسين⁹⁵، وفي عام 825هـ/1422م، خسر تجار مدينة الاسكندرية بضائع قدرت بنحو مائة ألف دينار بسبب قيام الفرنج بحرق مركب محمل بالبضائع بالقرب من ميناء الاسكندرية⁹⁶، وفي سنة 838هـ/1434م، واحترقت كمية كبيرة من البضائع للتجار نتيجة احتراق مركب بساحل الطور⁹⁷، وفي هجوم للفرنج سنة 844هـ/1441م، عمدوا إلى حرق مراكب التجار بساحل الطينة في سيناء⁹⁸.

وأما الصناعات فأشار الدلجي إلى شروط يجب أن تتوفر في الممتن لهذه المهنة أهمها المهارة ويعلق على قوله بقلة من تتوفر لديهم المهارات وأن الصناعات كثيرة الكساد قليلة الرواج، وأن الصنائع هم أفضل حالاً بأقل القليل من الفقير⁹⁹، ويمكن ذكر أمثلة عما قاله الدلجي في شروط توافر المهارة في الصناعات ما حصل من احتراق الزردخانه بالقلعة عام 919هـ/1513م، حيث أدت الحريق إلى ارتفاع الدخان في السماء بشكل كثيف، أثناء عمل الصناعات في البارود حيث أصابت النار سقف الزردخانه وانتشرت فيها النار كلها ومات عدد من الصناعات نتيجة الحروق¹⁰⁰، وفي سنة 920هـ/1514م، مات عشرون رجلاً حرقاً وهم يصنعون البارود على مركب نتيجة اشتعال النار في البارود¹⁰¹. من خلال ما تقدم نجد أن أهم الأسباب التي طرحها الدلجي في كتابه الفلاحة والمفلوكون التي ذكرت آنفاً لكون أغلب العامة يمارسون هذه الحرف الثلاثة، وبعد الحديث عن الأسباب التي تؤدي إلى الفقر في المجتمع، نطرح سؤالاً ماهي مظاهر الفقر؟

طرح الدلجي في كتابه الآفات التي تنشأ عن الفلاحة وقدم لنا وصفاً بذلك ويمكن التعليق على هذه الصفات بذكر حوادث تثبت ما ذكره الدلجي، وأولى هذه الآفات أن الفقير ضيق الصدر نزق الأخلاق ومرد ذلك إلى فقره، ومن الآثار أيضاً القهر حيث يلزم الفقر ومتى استولى القهر والغلبة على شخص تغيرت أخلاقه وأصبح بها من الكذب والخبيث والخديعة، والحدق، والحسد¹⁰²، ومن المظاهر الأخرى السرقة والجريمة ففي سنة 695هـ/1296م، عثر في مدينة دمشق

⁹³ - ابن كثير (الحافظ ابو الفدا ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، ج4، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1990م، ص 256، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 229 .

⁹⁴ - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص 436-437 .

⁹⁵ - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2، ص 14 .

⁹⁶ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 63 .

⁹⁷ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص 282 .

⁹⁸ - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج4، ص 163 .

⁹⁹ - الدلجي، الفلاحة والمفلوكون، ص 54.

¹⁰⁰ - ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص 314 .

¹⁰¹ - ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص 366 .

¹⁰² - الدلجي، الفلاحة والمفلوكون، ص 15.

على جثة حارس، أو جثتي حارسين من حراس الدرب¹⁰³ مقتولين، وخلال عدة أيام من مراقبة الأحياء والشوارع تم إلقاء القبض على شخص فقير الحال، تبين أنه المسؤول عن قتل الحراس، فحكم عليه بالتسمير¹⁰⁴ ثم الخنق¹⁰⁵، ويبدو أن قتل الحراس كان هدفه الدخول إلى البيوت وسرقتها، وارتبطت بعض السرقات بجرائم القتل ففي سنة 875هـ/1470م، قام شخصان في القاهرة بقتل رجل حلبي كان يسكن الجينية وأخذاً ماله، وتم القبض عليهم وتسميرهم¹⁰⁶، وقد تم تسمير ستة أشخاص في قلوب لأنهم قتلوا رجلاً لأخذ ماله وحرقوه بمستوقد الحمام وعلقت جثثهم ليكونوا عبرة لغيرهم¹⁰⁷، وكثرت حوادث السرقة مع ارتفاع الأسعار¹⁰⁸.

ويتناول المقريري في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة، تلك المظاهر وأحوال الفقراء والجوع الذي نابهم وكيف يتجمعون عند المخابز والأفران فينهبون العجين وهو محمول إلى الفرن قبل أن يتم خبزه، مما استدعى الدولة المملوكية إلى وضع حراسة ترافق العجين إلى الفرن، ثم تحمي الخبز حتى يتم توزيعه على المخابز، بحيث ينال من يحاول الاقتراب الضرب بالعصى دون رحمة، ومع ذلك فإن شدة الجوع جعلت البعض لا يبالي بالحرس أو الضرب فيلقي بنفسه على الخبز ليخطف شيئاً فلا يناله سوى العقاب الشديد والضرب دون هوادة¹⁰⁹، وكان الخبازون شريين وطامعين في جمع الأموال فامتنعوا عن بيع الخبز للناس، فكثرت خطف الخبز ونهبه من الأسواق فخطف الناس الخبز من على رؤوس الحمالين¹¹⁰، وكان يُفقد الخبز بالأفران لأيام معدودة وأعوان المحتسب تقوم بحماية الأفران لمنع النهب¹¹¹، وبقيت الناس على الأفران يتزاحمون صفوف خلف بعضهم البعض من مطلع الشمس إلى المغيب، وكثير من الناس لا يحصل على خبزه رغم وقوفه نصف يوم¹¹²، وكان الشخص يرمي نفسه على طبق الخبز بالرغم من الضرب الذي يتعرض له،

103 - حراس الدرب: ظهر منصب حارس الدرب في العصر المملوكي، وأوكل إليه حراسة الطرق وأن ينصح لأهل الدرب ويسهر عليهم إذا ناموا، وينبه النوام إذا تعرضوا لحريق أو سيل أو سرقة، انظر، ابن طولون(شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي ت953هـ/1547م)، نقد الطالب لزغل المناصب، تح: محمد أحمد دهمان، خالد دهمان، را: نزار أباطة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 192.

104 - التسمير: وطريقته أن يجرد المحكوم ما عليه من الثياب، ثم يثبتون أطرافه بالمسامير في خشبتين على شكل صليب ويوضع على ظهر جمل وتسمى هذه العملية بالتسمير، انظر، منصور(أحمد صبحي)، المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنية في عصر السلطان قايتباي، د.د. د.ط. د.ت، ص 62.

105 - ابن الجزري، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، ج1، 285.

106 - منصور، المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنية في عصر السلطان قايتباي، ص 174.

107 - الصيرفي(علي بن داود ت 900هـ/1494م)، إنباء الهصر بأبناء العصر، تح: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2002م، ص 286-287.

108 - صبرة(آدم)، الفقر والإحسان في مصر في عصر السلاطين المماليك، تر: قاسم عبده قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص 247.

109 - المقريري، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 108.

110 - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، ج1، ص 430.

111 - ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي ت874هـ/1470م)، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج1، تح: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، ط1، 1990م، ص 289.

112 - ابن صصري، الدرة المضية في أخبار الدولة الظاهرية، ص 246.

وقد يقع مغمياً عليه وهو ممسك قطعة أو رغيفاً بأسنانه¹¹³، واشتد الغلاء وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخالة لأنهم لا يستطيعون شراء خبز القمح، وكثر خطف الفقراء للخبز من أيدي الناس¹¹⁴، وتفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبني آدم، وأكل الناس أولادهم الموتى¹¹⁵، ويذكر المقرئ قصة فيقول: "فقبض على رجل من أهل الجرائم بمدينة بلبس ووسط¹¹⁶، ثم علق خارج المدينة فوجد رجل قد أخذ قلبه وكبده ليأكلهما من الجوع، فمسك وأحضر إلى متولي الحرب وهما معه - فقال: الجوع حملني هذا، فوصله بمال وخلا سبيله"¹¹⁷، ومات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات¹¹⁸، ويصف المقرئ ذلك بقوله: "كنت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: لله، لبابة قدر شحمة أذني، أشمها وخذوها، فلا يزال كذلك حتى يموت"¹¹⁹، ونتيجة لشدة الجوع والغلاء في مصر باع الآباء أبنائهم¹²⁰، وفي بلاد الشام نتيجة ارتفاع الأسعار اضطر الناس لأكل الميتات والقطط والكلاب، بل ذكر بعض المؤرخين أن بعض الناس أكل لحم البشر من شدة الجوع، ومات الكثير من الفقراء من شدة الجوع، وباع بعض الفقراء أولادهم ليحصلوا من ثمنهم لقمة تسد رمق جوعهم¹²¹، ومن الناس من أكل لحوم أبنائه، ومن قوي على رفيقه قتله وأكله، وأما الأطباء فقد أكثرهم، حيث كان الناس يقومون باستدعائهم لزيارة المرضى، ويقومون بقتلهم وأكلهم¹²².

وبروي ابن صصري في مؤلفه عن حادثة قتل الأطباء حيث يقول: "وقد استدعي رجل لطبيب فخاف الطبيب على نفسه وذهب معه وهو خائف، فجعل يكثر في الصدقة في الطريق، والذكر، فلما وصل إلى الدار وجدها الطبيب خرابة فتأخر عن الرجل، فخرج إليه رجل وقال له: "...، جئت لنا بصيد؟ فلما سمع الطبيب قول ذلك ولى هارباً، وقد نجا بنفسه"¹²³، ومن مظاهر الفقر أيضاً على الحياة الفكرية ضعف التعليم، ففي سنة 825هـ/1421م، كان الحضور إلى المدارس قليلاً، وذلك بسبب قلة الرواتب للطلاب وسبب ذلك الآفات التي كانت بالمحاصيل الزراعية في السنة التي

113 - العيني(بدر الدين محمود ت855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج3، تح: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، 2010م، ص 301.

114 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 375 .

115 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 267، عاشور(سعيد عبد الفتاح)، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، د.ت، ص 199-200.

116 - التوسيط: هو أشهر أنواع الإعدام على الإطلاق في عهد المماليك، وطريقته أن يجرّد المحكوم ما عليه من الثياب، ثم يشبّتون أطرافه بالمسامير في خشبتين على شكل صليب ويوضع على ظهره جمل وتسمى هذه العملية بالتسمير، ثم يأتي السيف فيضرب الضحية بقوة تحت السرة فيقطع الجسم إلى نصفين/ فيقسم الجسم إلى قسمين من وسطه فتتهار أمعاؤه إلى الأرض، انظر، منصور، المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنية في عصر السلطان قايتباي، ص 62، جنين(الطان)، أساليب التعذيب المعنوية والجسدية في عهد دولة المماليك البرجية، الجامعة الأردنية، مج38، ع2، 2001م، ص 540.

117 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج6، ص 120.

118 - المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 114 .

119 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 374.

120 - العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج3، ص 319، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 363.

121 - ابن شهبه(تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي ت 851هـ/1448م)، تاريخ ابن قاضي شهبه، مج3، ج2، تح: عدنان درويش، دمشق، 1977 م، ص 484، ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج2، ص 106، المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 391، السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ج1، ص 281، ابن العراقي، الذيل على العبر في خبر من غير، ج2، ص 402 .

122 - ابن صصري، الدرة المضية في الدولة الظاهرية، ص 186 .

123 - ابن صصري، الدرة المضية في الدولة الظاهرية، ص 186 .

- سبقت هذه السنة، حيث لم يفرق بها شيء¹²⁴، وقد صف المقيزي الفقهاء وطلاب العلم بسبب نقص رواتبهم وسوء أحوالهم "فهم ما بين ميت أو مشتهي الموت، لسوء ما حل بهم"¹²⁵، ومن الآثار المترتبة أيضاً أن كتب العلم قد رخصت حتى أنه كان ينادى عليها بالأحمال، ويباع الحمل منها بأرخص الأثمان¹²⁶. هذه إضاءات بسيطة عما ذكره الدلجي في كتابه وإن المقام لا يتسع هنا لذكر تفاصيل أكثر لطبيعة المنهج المتبع في الدراسة.
- لا شك أن للأسباب التي ذكرت سابقاً الأثر السلبي الواضح على الحياة بمختلف مجالاتها ولعل أهم هذه الآثار:
- 1- الهجرات السكانية من المناطق المنكوبة إلى مناطق أخرى خاصة عند حدوث الجفاف، كالجفاف الذي حدث في سنة 704هـ/1304م، وقد ذكر المقيزي أن /2800/ قرية خلت من الصفقة القبلية¹²⁷.
 - 2- تلف الأراضي والمحاصيل الزراعية واقتلاع الأشجار وتدمير البساتين نتيجة السيول والفيضانات وهذا بدوره يؤدي إلى افتقار الفلاح كالفيضان الذي حصل في مصر سنة 755هـ/1254م¹²⁸.
 - 4- فرض ضرائب وغرامات على الأراضي الزراعية أدت إلى ترك الفلاح لأرضه وهجرها حيث أصبح يدفع غرامة أرضه أكثر مما يجنيه من محصولها، مثال ذلك عندما ألزم السلطان اسماعيل بن محمد بن قلاوون من بيده رزقة من أرض مصر أو أرض استأجرها أن يقدم عن كل فدان مائة وخمسين درهماً فأخذ مالا كثيراً¹²⁹.
 - 5- أدى التدهور الاقتصادي الذي حدث إلى ازدياد عدد العاطلين عن العمل وبالتالي انتشار ظاهرة التسول¹³⁰.
 - 6- الحرائق التي تطل الأسواق وما يذهب فيها من بضائع وأموال كالحريق الذي حصل في عام 757هـ/1356م، وكانت الخسائر ما يزيد عن مليون درهم¹³¹.
 - 7- افتقار الناس والتجار الأغنياء نتيجة الفتن والصراعات الداخلية بين المماليك وما يلحق ذلك من إغلاق لأسواق وتوقف حركة البيع والشراء عدة أيام أو أشهر ريثما ينحسم الصراع بين الأمراء والمماليك، كما حدث في الصراع الذي نشأ بين السلطان الأشرف شعبان والأمير بيلغا فيذكر المقيزي حال مدينة القاهرة فيقول: "وأسواق القاهرة هذه الأيام مغلقة والأسباب متعطله"¹³².

-
- 124 - النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص 291 .
- 125 - المقيزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 149 .
- 126 - قاسم(عبد قاسم)، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1978م، ص 69 .
- 127 - المقيزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 383-384 .
- 128 - ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، ج1، ص 276-277، المقيزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 214 .
- 129 - العزام(عيسى محمود)، الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي الأول، مجلة الدراسات العليا، ع24، 2007م، ص15-16 .
- 130 - لابيدوس(ابرا)، مدن إسلامية في عهد المماليك، نقله: علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1987م، ص 258-259.
- 131 - ابن العماد(شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العسكري الحنبلي ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1992م، ص 312.
- 132 - المقيزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 192 .

8- أدت الضرائب التي تفرض على التجار وعامة الناس من أجل تمويل العمليات العسكرية إلى افتقار التجار الأغنياء وهلاك الفقراء، كالضرائب التي فرضها السلطان برقوق لتجهيز الجيش لمحاربة تيمور لنك فأدت إلى هلاك الكثير ووقوع الفقر بين الناس¹³³.

9- الغزوات الخارجية وما يتبعها من أضرار على عامة الناس والتجار وأصحاب الأسواق، فعندما دخل المغول دمشق فرضوا ضرائب باهظة على جميع الناس والأسواق ولم يتم استثناء أحد من الضرائب¹³⁴.

10- أدى الفقر إلى وقوع بعض حوادث القتل، ففي سنة 875هـ/1470م، قام شخصان في القاهرة بقتل رجل حلبي كان يسكن الجنيّة وأخذوا ماله، وتم القبض عليهم وتسميرهم¹³⁵.

11- أدى الفقر بين الناس لعدم وجود الأقوات وارتفاع سعرها وهذا بدوره ترك أثراً سلبية تمثلت بانتشار ظاهرة السرقة في المدن والقرى من قبل الفقراء والحرافيش واللصوص وكانت معظم هذه الحوادث تقع في الأفران والأسواق من أجل الحصول على رغيف خبز في وضوح النهار، وفي سنة 749هـ/1348م، فاض نهر النيل فخرجت الناس من بيوتها فقام الأوباش بسرقتها¹³⁶، وعندما حدث جفاف في سنة 750هـ/1349م، قام الحرافيش بسرقة الخبز من حوانيت الخبازين¹³⁷، وفي سنة 874هـ/1469م، شنق حرامي بأمر من السلطان بعد أن سرق فقطعوا يده وأطلقوه، فسرق مرة ثانية فقطعوا أرجله وأطلقوه، فسرق مرة ثالثة فشنقه¹³⁸، وقطعت يد طفل صغير سرق ليأكل¹³⁹.

12- الجوع الذي أصاب المجتمع والذي كان سبباً في أكل الناس لحم الميتة والكلاب والقطط، وأكل أبنائهم من البقاء على قيد الحياة ومواجهة الموت.

13- تأثرت الحياة العلمية بمختلف مجالاتها، وفي وصف المقرئ شرح للحالة السيئة التي وصل إليها العلماء والطلاب "فهم ما بين ميت أو مشتهي الموت، لسوء ما حل بهم"¹⁴⁰.

خاتمة:

يخلص البحث إلى أن الدلجي ناقش قضية الفقر كظاهرة اجتماعية عاصرها وانتشرت في العصر المملوكي وربط هذه الظاهرة بعدة مسببات أدت إلى شيوعها، ولكنه لم يذكر كما فعل غيره من المؤرخين المعاصرين له من وصفهم للأحوال الاقتصادية والمعيشية التي عانى منها بعض فئات المجتمع، والآثار المرتبة على ذلك، وإنما اقتصر وقوفه على إرجاعها إلى أسبابها الطبيعية، ولعله في ذلك وصف واقعاً عاشه المجتمع المملوكي متأثراً بتلك الأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت على امتداد تاريخ المماليك، ولم يكن الدلجي حذقاً في تحليله وتوصيفه كمعاصره المقرئ وربما

¹³³ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص 247-248، سوفاجيه(جان)، دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب، تع:فؤاد أفرام البستاني، تع: أكرم حسن العلبي، الوراق، الحمراء، ط1، 1989م، ص 96.

¹³⁴ - ابن العسال(مفضل بن أبي الفضائل ت 759هـ/1358م)، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج2، تع: محمد كمال عز الدين علي السيد، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 2017م، ص 371-372.

¹³⁵ - منصور، المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنية في عصر السلطان قايتباي، ص 174.

¹³⁶ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 78.

¹³⁷ - ابن شهية، تاريخ ابن قاضي شهية، ج2، ص 679.

¹³⁸ - الصيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر، ص 127.

¹³⁹ - منصور، المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنية في عصر السلطان قايتباي، ص 173.

¹⁴⁰ - المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 149.

ها يعود لاعتبارات متعددة لعل من أهمها أن المقريري كان رجل إدارة وبلاط على عكس الدلجي الذي لم يكن لديه تلك الخطوة كمعاصره .

الاستنتاجات والتوصيات:

- 1- أدت الأمطار والفيضانات والسيول إلى خراب الكثير من الممتلكات والمنشآت والبساتين واتلاف المزروعات وموت المواشي وغرق أسواق بما فيها من مواد وسلع غذائية وما نتج عن ذلك من آثار على الحياة الاقتصادية والاجتماعية .
- 2- أثرت موجات القحط والجفاف على عدم توفر المحاصيل الزراعية في الأسواق وارتفاع أسعارها وخاصة القمح والعشير وما نحوه، مما أدى إلى خلق أزمة اقتصادية خانقة.
- 3- أدت الحرائق إلى ترك أثر كبير على الحياة الاقتصادية، فقد كانت الحرائق تذهب البضائع والأموال للتجار وغيرهم.
- 4- تعطل الزراعة، فضلاً عن هجرة من بقي من الفلاحين وترك الأراضي الزراعية نتيجة الغلاء، والضرائب.
- 5- تدهور الأوضاع الاقتصادية نتيجة سياسية السلاطين في جمع الأموال من خلال عملية الطرح والرمي.
- 6- ارتباط الوضع الاقتصادي في البلاد بطبيعة النظام السياسي القائم في الدولة المملوكية، حيث أن حدوث الأزمات السياسية في دولة المماليك كان لا بد أن يسبب حالة من الركود الاقتصادي، فتأثر حركة البيع والشراء، وتتوقف جميع الأنشطة التجارية في الأسواق .
- 7- تعرض البلاد لحالة عدم الاستقرار السياسي يؤدي بشكل فوري وحتمي إلى غلاء أسعار المواد والسلع الغذائية وعدم تمكن العامة من تأمين قوتهم اليومي لضعف القيمة الشرائية لديهم لتأمين القمح وغيره .
- 8- الحروب العسكرية وما رافقها من آثار اجتماعية واقتصادية من حيث الضرائب المفروضة على الشعب إلى زيادة الطلب على البضائع والأطعمة والغلال في الأسواق، فيحدث ارتفاع في أسعار المواد الغذائية.
- 9- تدني مستوى الانتاج الحيواني نتيجة موت الكثير من الحيوانات جراء الأوبئة والكوارث الطبيعية.
- 10- تحرك الدولة المملوكية وفرض رقابة شديدة على الأسواق لتسعير المواد الغذائية وإجبار الأمراء والتجار على بيع محاصيلهم بالسعر الذي تفرضه .
- 11- استخدام المصادرات كعقوبة متعارف عليها في الدولة المملوكية فيجرد الشخص من جميع ما يملك من مال وعقار .
- 12- أدى كل من الفقر والجوع إلى انتشار الفوضى الاجتماعية في المجتمع كشيوع القتل والسرقة والتسول.
- 13- تأثر الحياة الفكرية في العصر المملوكي نتيجة تدهور الوضع الاقتصادي.

Sources:

- 1) Ibn al-Iraqi (Ahmed Abd al-Rahim bin al-Husayn, d. 826 AH / 1420 AD), the tail on the lessons in the news of the dust, vol. 1, edited by: Saleh Mahdi Abbas, Foundation of the Message, Beirut, i 1, 1989 AD.
- 2) Ibn Taghri Bardi (Jamal al-Din Abi al-Mahasin al-Atabki, d. 874 AH / 1470 AD), al-Manhal al-Safi and al-Mustwafi after al-Wafi, part 3, t. 1988 AD.

- 3) Al-Maqrizi (Taqi Al-Din Ahmed bin Ali, d. 845 AH / 1442 AD), *Al-Suluk to Know, Doul Al-Muluk*, Volume 4, edited by: Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1, 1997 AD.
- 4) Ibn Taghri Bardi (Jamal al-Din Abi al-Mahasin al-Atabki, t. 874 AH / 1470 AD), *The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo*, Part 11, Egyptian General Organization, Ministry of Culture and National Guidance, d.T, d.T.
- 5) Al-Sakhawi (Shams al-Din Muhammad ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad d. 902 AH / 1496 AD), *the shining light for the people of the ninth century*, vol. 2, Dar Al-Jeel, Beirut, d.T, d.T.
- 6) Ibn Tulun (Shams al-Din Muhammad ibn Ali ibn Ahmad d. 953 AH / 1547 AD), *the essential necklaces in the history of Salhia*, volume 1, edited by: Muhammad Ahmad Dahman, Library of Islamic Studies, Damascus, d. T, 1949 AD.
- 7) Al-Dalji (Ahmed bin Ali, d. 838 AH / 1435 AD), *Al-Falaka and the Maflokoun*, Al-Shaab Press, Egypt, d., 132 AH.
- 8) Al-Fayrouz Abadi (Majd Al-Din Abi Al-Taher Muhammad bin Yaqoub, d. 817 AH / 1415 AD), *Al-Muhit Dictionary*, Ishra: Muhammad Naim Al-Arqossi, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, 8th edition, 2005 AD.
- 9) Ibn Manzoor (Jamal al-Din Abu al-Fadl Muhammad bin Makram bin Ali bin Ahmed bin Habqa, d. 711 AH / 1311 AD), *Lisan al-Arab*, volume 5, c 46, edited by: Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hassab Allah, Hashem Muhammad al-Shazly, Dar al-Maaref, Cairo, I 1, 1981 AD.
- 10) Al-Fayoumi (Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi Al-Maqri, d. 770 AH / 1369 AD), *Al-Misbah Al-Munir*, Library of Lebanon, Beirut, Lebanon, Dr. I, 1987 AD.
- 11) Ibn Khaldun (Abdul Rahman bin Muhammad d. 808 AH / 1406 AD), *Introduction by Ibn Khaldun*, Volume 1, edited by: Abdullah Muhammad Darwish, Dar Ya`rob, Damascus, d. T, 2004 AD.
- 12) Ibn Eyas (Muhammad bin Ahmed al-Hanafî, d. 930 AH / 1524 AD), *Badaa' al-Zohour fi Waqa'i al-Daur*, vol. 4, edited by: Muhammad Mustafa, The Egyptian General Book Authority, Cairo, 3rd edition, 1984 AD.
- 13) Al-Serafi (Ali bin Dawood, 900 AH / 1494AD), *Nuzhat al-Nufus wa al-Badat fi Tarekh al-Zaman*, Volume 3, Edited by: Hassan Habashi, Dar al-Kutub, United Arab Republic, d.T, 1973.
- 14) Ibn Hajar (Abi al-Fadl Ahmed bin Ali bin Muhammad al-Asqalani, d. 852 AH / 1449 AD), *the pearls lurking in the notables of the eighth century*, vol. 1, Dar al-Jeel, Beirut, d. T, 1993 AD.
- 15) Al-Yousifi (Musa bin Muhammad bin Yahya, d. 759 AH / 1358 AD), *Nazha al-Nazir in the biography of King Nasser*, edited by: Ahmed Hoteit, World of Books, Beirut, 1, 1986 AD.
- 16) Al-Yunini (Qutb al-Din Musa bin Muhammad d. 726 AH / 1326 AD), *the tail of the mirror of time*, volume 2, Ottoman Encyclopedia Press, India, 1, 1955 AD.
- 17) Ibn Tulun (Shams al-Din Muhammad ibn Ali ibn Ahmad al-Salihi, d. 953 AH / 1547 AD), *Al-Ware's information on who was appointed as a representative of the Turks in Damascus, the Greater Levant*, edited by: Muhammad Ahmad Dahman, Dar al-Fikr, Damascus, Syria, 2nd edition, 1984 AD.
- 18) Ibn Hajar (Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Muhammad al-Asqalani, d. 852 AH / 1449 AD), *the news of immersion in the sons of a lifetime*, vol. 3, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1986 AD.

- 19) Ibn al-Jazari (Shams al-Din bin Abdullah Muhammad bin Ibrahim, d. 738 AH / 1337 AD), Incidents of Time and His Sons and the Deaths of Seniors and Notables from His Sons, Volume 1, Edited by: Omar Abdel Salam Tadmuri, Al-Asriya Library, Sidon, Beirut, I 1, 1998 AD.
- 20) Al-Hamawi (Bahaa al-Din Abdullah Yaqut, 626AH/1228AD), Dictionary of Countries, Volume 4, Dar Sader, Beirut, 1977AD.
- 21) Al-Nuwairi (Shehab al-Din Ahmed bin Abdul-Wahhab, d. 733 AH / 1332 AD), The End of the Arb in the Arts of Literature, Part 31, edited by: Najib Mustafa Fawaz, Hikmat Kashli Fawaz, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1, 2004 AD.
- 22) Al-Baghdadi (Safi Lidin Abdul-Mumin bin Abdul-Haq, t. 739 AH / 1339 AD), observatories of access to the news of places and the Bekaa, vol. 2, edited by: Ali Muhammad al-Bajawi, Dar al-Jeel, Beirut, i 1, 1992 AD.
- 23) Ibn al-Hajji (Abu al-Abbas Ahmad ibn Haji al-Sa'di al-Hasbani al-Dimashqi, d. 816 AH / 1414 AD), History of Ibn Hajji, vol. 1, commented: Abu Yahya Abdullah al-Kindi, Dar Ibn Hazm, Beirut, Lebanon, 1, 2003 AD.
- 24) Ibn Shaheen (Zain al-Din Abdul Basit bin Khalil al-Dhahiri al-Hanafi, d. 920 AH / 1514 AD), Neil Hope in the tail of the countries, part 2, edited by: Omar Abdel Salam Tadmuri, Al-Asriya Library, Sidon, Beirut, 1, 2002 AD.
- 25) Al-Sakhawi (Shams al-Din Abi al-Khair Muhammad ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad d. 902 AH / 1496 AD), the complete tail on the countries of Islam, vol. 1, edited by: Hussein Ismail Marwa, Dar al-Urubah, Kuwait, i 1, 1992 AD.
- 26) Ibn Tulun (Muhammad bin Ali bin Ahmed bin Ali d. 953 AH / 1547 AD), Telegram luminaries in historical jokes, Al-Qudsi Library, Damascus, d.T, 1348 AH.
- 27) Al-Basrawi (Alaa al-Din Ali bin Yusuf bin Ahmad al-Dimashqi al-Shafi'i, d. 905 AH / 1498 AD), the history of al-Basrawi, unknown pages from the history of Damascus from the Mamluk era, edited by: Akram Hassan al-Olabi, Dar al-Mamoun for Heritage, Damascus, 1, 1988 AD.
- 28) Al-Dhahabi (Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman, d. 748 AH / 1348 AD), States of Islam, Volume 2, edited by: Hussein Ismail Marwa, Mahmoud Arnaout, Dar Sader, Beirut, 1, 1999 AD.
- 29) Al-Maqrizi (Taqi al-Din Ahmed bin Ali, d. 845 AH / 1442 AD), Relief of the Nation by Uncovering the Grief, edited by: Karam Helmy Farhat, Ain for Humanitarian and Social Studies and Research, Al Haram, I 1, p. 2007 AD.
- 30) Al-Mansouri (Rukn al-Din Baybars, d. 725 AH / 1325 AD), the royal masterpiece in the Turkish state, the history of the Mamluk Bahri state in the period from 648-711 AH, may: Abdul Hamid Saleh Hamdan, Egyptian Lebanese House, Cairo, I 1, 1987 AD.
- 31) Ibn Sarri (Muhammad bin Muhammad bin Ahmed d. 801 AH / 1379 AD), The Golden Durra in the News of the Virtual State, edited by: Aref Ahmed Abdel Ghani, Dar Kinan, Damascus, Syria, I 1, 2014 AD.
- 32) Anonymous (Syrian historian), Damascene Annals, Edited by: Hassan Habashi, Anglo-Egyptian Library, Cairo, d.T, d.T.
- 33) Ibn Katheer (Al-Hafiz Abu Al-Fida, 774 AH / 1373 AD), The Beginning and the End, Volume 14, Al-Maaref Library, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1990 AD.
- 34) Ibn Tulun (Shams al-Din Muhammad bin Ali bin Ahmed al-Salihi, d. 953 AH / 1547 AD), the student's criticism of occupying positions, edited by: Muhammad Ahmad Dahman, Khaled Muhammad Dahman, ra: Nizar Abaza, House of Contemporary Thought, Beirut, Lebanon, 1, 1992 AD.

- 35) Ibn Taghri Bardi (Jamal al-Din Abi al-Mahasin al-Atabki, t. 874 AH / 1470 AD), Incidents of Eternity in the Range of Days and Months, Volume 1, edited by: Muhammad Kamal al-Din Izz al-Din, World of Books, i 1, 1990 AD.
- 36) Al-Aini (Badr al-Din Mahmoud, d. 855 AH / 1451 AD), the Juman contract in the history of the people of time, part 3, edited by: Muhammad Muhammad Amin, House of National Books and Documents, Cairo, d. T, 2010 AD.
- 37) Ibn Shahba (Taqi al-Din Abi Bakr bin Ahmed bin Qadi Shahba al-Asadi al-Dimashqi, d. 851 AH / 1448 AD), Tarikh Ibn Qazi Shahba, Volume 3, Volume 2, edited by: Adnan Darwish, Damascus, 1977 AD.
- 38) Al-Nuaimi (Abdul Qadir bin Muhammad d. 978 AH / 1570 AD), the student in the history of schools, part 1, prepared by: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1, 1990 AD.
- 39) Ibn al-Imad (Shehab al-Din Abi al-Falah Abd al-Hay bin Ahmad al-Akri al-Hanbali, d. 1089 AH / 1678 AD), nuggets of gold in Akhbar Min Dahab, part 8, ed.: Abdul Qadir al-Arnaout, Mahmoud al-Arnaout, Dar Ibn Katheer, Damascus, Beirut, I 1, 1992 AD.
- 40) Ibn al-Assal (Mufaddal ibn Abi al-Fadael, d. 759 AH / 1358 AD), the right approach and the unique pearls after the history of Ibn al-Amid, Volume 2, edited by: Muhammad Kamal Izz al-Din Ali al-Sayyid, Dar Saad al-Din, Damascus, I 1, 2017.
- 41) Al-Serafy (Ali bin Daoud 900 AH / 1494 AD), the news of the age of the sons of the age, edited by: Hassan Habashi, the Egyptian General Book Authority, d., 2002 AD.
- 42) Al-Razi (Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qader, d. 660 AH / 1261 AD), Mukhtar Al-Sahah, Library of Lebanon, Beirut, d., 1986 AD.
- 43) Ibn al-Hajj (Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad bin Muhammad al-Abdari al-Maliki al-Fassi, d. 737 AH / 1336 AD), the entrance, part 4, Heritage Library, Cairo, d.T, d.T.

reviewer:

- 1) Dahman (Muhammad Ahmed), A Dictionary of Historical Words in the Mamluk Era, Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, 1, 1990 AD.
- 2) Al-Zarkali (Khair Al-Din), Al-Alam, Volume 1, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 5th edition, 1980 AD.
- 3) Arabic Language Complex, Intermediate Dictionary, Al Shorouk International Library, Egypt, 4th Edition, 2004 AD.
- 4) A group of specialists, The International Arab Encyclopedia, part 17, Encyclopedia Business Foundation, Riyadh, 2nd Edition, 1999 AD.
- 5) Qasim (Abdo Qasim), Egypt's Markets in the Era of the Mamluk Sultans, Said Raafat Library, Cairo, 1978 AD.
- 6) Al-Obaidi (Salah Hussein), Arab and Islamic clothing in the Abbasid era from historical and archaeological sources, Dar Al-Rasheed Publishing, Iraq, d.T, d.T.
- 7) Al-Sherbini (Al-Bayoumi Ismail), Confiscation of Property in the Islamic State in the Era of the Mamluk Sultans, The Egyptian General Book Authority, 1997.
- 8) Qasim (Abdo Qassem), The Era of the Mamluk Sultans, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1, 1994 AD.
- 9) Hunts (Walter), Islamic weights and measures, see: Kamel Al-Asali, University of Jordan Publications, Amman, 1970.
- 10) Mansour (Ahmed Sobhi), Egyptian society in light of the application of Sunni law in the era of Sultan Qaytbay, d., d., d.t.

- 11) Ashour (Said Abdel Fattah), Egypt in the Era of the Mamluk Maritime State, Egyptian Renaissance Library, Cairo, d.T., d.T.
- 12) Qasim (Abdo Qasim), Egypt's Markets in the Era of the Mamluk Sultans, Said Raafat Library, Cairo, 1978 AD.
- 13) Lapidus (IRA), Islamic Cities in the Era of the Mamluks, transferred by: Ali Madi, Al-Ahlia for Publishing and Distribution, Beirut, 2nd Edition, 1987 AD.
- 14) Sauvage (Jan), Damascus, the Levant, a historical overview from ancient times until the Mandate era, p.
- 15) Sabra (Adam), Poverty and Charity in Egypt in the Era of the Mamluk Sultans, see: Qassem Abdo Qassem, The Supreme Council of Culture, Cairo, 1, 2003 AD.

Articles:

- 1) Al-Awadi (Refaat), an economic analysis of the book Al-Falaqa and Al-Mafloqun by Al-Dalji 770 AH/838 AH, a model of Islamic thought for the issue of the poor and the problem of poverty, Islamic Studies, vol. 2, vol. 5, 1985 AD.
- 2) Salhia (Muhammad), The Phenomenon of Throwing and Throwing in the Mamluk Economy, Yarmouk Research Journal, Volume 9, Number 4, 1993 AD.
- 3) Salhia (Muhammad Issa), the phenomenon of throwing and throwing in the Mamluk economy, Yarmouk Research Journal, Vol. 9, No. 4.
- 4) Jenin (Al-Tan), Moral and Physical Torture Methods in the Era of the Towery Mamluk State, University of Jordan, Vol. 38, Vol. 2, 2001 AD.
- 5) Al-Azzam (Issa Mahmoud), Economic Crises in Egypt during the First Mamluk Era, Journal of Higher Studies, Vol. 24, 2007 AD.
- 6) Mutlaq (Fadhila Abbas), Professional Ethics in the Book of Al-Falaka and Al-Falakun by Al-Dalji, a comparative analytical study, Journal of the College of Arts, University of Baghdad, p. 54, 2001.